العرب
الإثنين 2020/01/06
السنة 42 العدد 11578

العالم يستفيق من صدمة الإعلام المعاصر محاولا احتواء تأثيراته السلبية

ثورة الإعلام الرقمي تتحكم فيها التقنيات أكثر من صانعيها

أصبح الجمهور مشاركاً في صياغة الخبر والترويج له بفضل مواقع التواصل الاجتماعي التي باتت إحدى مصادر الخبر للإعلام التقليدي. ويحاول القائمون على الإعلام اليوم تنظيم هذه المنصات رغم صعوبة المهمة التي تتطلب مواجهة العشب السيء دون قتل الأشجار المثمرة.

لندن - لم يعد الإعلام الحديث أداة من أدوات السياسة بل صانعا ومصدرا لتلك السياسة، وبات سلاحا يستخدم في مجالات خطيرة تفرض على الرأي العام مزاجاً كنتاج آلي لما تضخه وسائل الإعلام الاجتماعي من أخبار وتحليلات وتقارير ومعلومات من شأنها قيادة العقل الجمعي العام باتجاه خيارات وأهواء تشوّه العملية الطبيعية لتطور الفكر وحركة الرأي لدى الشعوب.

ولئن واكبت منصات الإعلام الاجتماعي احتجاجات موجة "الربيع العربي" منذ عام 2011، إلا أنه ثبت بعد ذلك أن أجندات سياسية تابعة لجهات دولية قد مُررت بكثافة وبخبث في سعي لقيادة هذه الاحتجاجات نحو مآلات لم يخطط لها المحتجون.

وبرز بشكل واضح تأثير الجهات الخارجية، عبر الشبكات الاجتماعية على سير الأحداث في دول مختلفة من العالم، لم تسلم منها حتى تلك المتقدمة تقنيا وتكنولوجيا.

وقد احتدّ نقاش صاخب في الولايات المتحدة إثر مفاجأة انتخاب دونالد ترامب رئيسا لهذا البلد، حيث اتهم الحزب الديمقراطي جيشا إلكترونيا روسيا بالتدخل في تلك الانتخابات من خلال بث معلومات مكثفة من شأنها النيل من سمعة وشعبية المرشحة الديمقراطية هيلاري كلينتون.

ولم يقتصر الجدل على سجال تقليدي بين الديمقراطيين والجمهوريين، بل إن مؤسسات الأمن في الولايات المتحدة أجرت تحقيقا أثبتت من خلاله بالدليل تدخل روسيا في هذه الانتخابات عن طريق التأثير على الناخبين من خلال وسائل التواصل الاجتماعي. حتى أن الرئيس ترامب، الذي شكك بتحقيقات مؤسسات الأمن في بلاده، عاد واضطر للاعتراف بتدخل روسيا في الانتخابات الرئاسية، مع تأكيده أن هذا التدخل لم يكن وراء فوزه.

وقد كشفت التحقيقات فضيحة شركة "كامبريدج أناليتيكا" التي باعت معطيات ومعلومات عن مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي لصالح حملات انتخابية في عدة دول، كان أهمها وأشهرها حملة ترامب في الولايات المتحدة وحملة الخروج من الاتحاد الأوروبي في بريطانيا.

ويجري كثير من البحث حول غياب المهنية عن الإعلام الحديث مقارنة بما انتهجه الإعلام الورقي التقليدي. ويرى الكاتب الصحافي علي الصراف أن "مصداقية الصحافة الورقية لم تتغير بالرغم من دخول وسائل إعلام أخرى".

ويعتبر الصراف أن الإعلام أيا كانت طبيعته، يمثل وجهة نظر يدافع عنها، بالتالي فإن "الدوافع السياسية قائمة في كل مصدر من مصادر الإعلام".

إياد بركات

ستكون هناك مطالبات بتفكيك وإعادة صياغة بعض المنصّات الاجتماعية في المستقبل

غير أن الصراف يعترف بما للإعلام الاجتماعي من قوة في الوقت الحاضر تنافس الإعلام التقليدي، ويقر بأن "لا أحد يستطيع محاصرة وسائل التواصل الاجتماعي". وفيما كان الإعلام في العالم العربي مملوكاً إجمالا للجهة الحاكمة فقط، بحيث لم يكن متاحاً أي حيز لإعلام آخر أو بديل، يخلص الصراف إلى أننا "ندفع الآن ثمن احتكار الحقيقة سابقا".

ويطرح أمر الإعلام في مصر بصفته محركا أساسيا لصناعة الرأي العام في بلد بلغ عدد سكانه حوالي المئة مليون نسمة.

ويعتبر الباحثون أن تجربة مصر في العقد الأخير كانت مريرة عبر ما شهده البلد من تحولات دراماتيكية سياسية وأمنية واجتماعية واقتصادية، وأن الإعلام كان حاضراً بكثافة داخل مصر وخارجها في السعي للتأثير في استقرار البلد وتحديد مساراته.

وقد شهد هذا العقد تحولا كبيرا في المشهد الإعلامي العام المصري من خلال ولادة مؤسسات إعلامية واختفاء أخرى، ناهيك عن حركة انتقال ملكية وسائل الإعلام من جهة إلى أخرى، انتهاء بتبدل الرسالة الإعلامية وتطورها وفقا لما تفرضه التحولات السريعة داخل مصر.

ويرى الكاتب الصحافي صفوت عمران أن "الإعلام التقليدي المصري كان أكثر التزاماً بالمعايير المهنية خلال السنوات الماضية".

ويأتي هذا الرأي من ارتباك في مقاربة ظاهرة الإعلام الاجتماعي الذي اجتاح البلد دون أي تحضير مسبق، بحيث بدت المنصات الاجتماعية أكثر رشاقة وحضورا، طالما أنها تتمتع بعدم وجود ضوابط مهنية تحد من شطط الرسائل التي تبثها، وطالما أن الأخبار المزيفة تتحرك بسهولة داخل فضاء الأخبار العام.

ويقول عمران في هذا الشأن إنه باتت "هناك مطالب بوضع قانون لحرية تداول المعلومات لمواجهة الشائعات في مصر". غير أن كثيرا من الخبراء يشككون في قدرة القوانين على كبح جماح ثورة إعلام تتيح لها التكنولوجيا الحديثة دينامية يصعب ضبطها.

ويتحدث عمران عن حملة إغراق إعلامي تعرضت لها مصر من منصات خارجية للنيل من البلد، بحيث "بات إعلاميو مصر يشعرون أنهم جنود في معركة تستهدف بلدهم".

وعلى الرغم من أن الإعلام الورقي التقليدي يتحمل جزءا من معضلة الإعلام هذه الأيام، خصوصا لجهة اضطراره إلى التخلي عن معايير مهنية تقليدية لصالح الانخراط في حمى المنافسة مع الإعلام الحديث، إلا أن المشكلة الكبيرة تكمن في فضاء الإعلام الاجتماعي الذي بات ثورة تتحكم التقنيات بها أكثر من قدرة صانعي الإعلام على التحكم بها.

ويقول خبير الإعلام الرقمي إياد بركات، إن المشكلة هذه الأيام تكمن في خوارزميات الذكاء الاصطناعي التي باتت تدفع الإعلام نحو آفاق لم يعد المتخصصون وفقها قادرين على معرفة تأثير الإعلام على الناس.

ويلفت بركات إلى أن الإعلام هذه الأيام، ليس وليد صانعه بل أن "الجمهور أصبح حالياً مشاركاً في صياغة الخبر" والترويج له على نحو لا يمكن توقع أحجامه. ويعرب بركات عن تشاؤمه من القدرة على ضبط الإعلام والمنصات الإعلامية، ويذهب إلى استشراف لافت بأنه "ستكون هناك مطالب بتفكيك وإعادة صياغة بعض المنصات الاجتماعية" في المستقبل.

والظاهر أن الإعلام الاجتماعي يتعامل مع المتلقي من خلال غرائزه وأهوائه وربما نقاط ضعفه، وبالتالي فإن أهداف ذلك الإعلام تكمن في تصويب الرسائل باتجاه فضاء اهتمامات المتلقي وتقودها باتجاه دون غيره.

شركات الإنترنت العملاقة، تأخرت في التنبه إلى الأخطار التي تشكلها منصات الإعلام الاجتماعي على السلم الدولي العام

ويشير بركات في هذا الصدد إلى أن "فيسبوك وتويتر يعتبران أن المتلقي المناسب هو المتلقي العاطفي".

وتمثل تونس حالة سياسية وإعلامية مميزة مقارنة بالبلدان التي شهدت احتجاجات منذ عام 2011. بات البلد متعدّدا سياسيا وتوسعت قاعدة المشهد الإعلامي الذي صار يتمتع بحرية كاملة في التعبير عن الأهواء السياسية المختلفة.

غير أن رواج هذه الظاهرة صاحبها انفجار الظاهرة الإعلامية على نحو مربك مقارنة بما كان سائدا، بحيث باتت الحرب الإعلامية مستعرة وشديدة بين القوى السياسية، لاسيما تلك المتجمّعة خلف الإسلام السياسي وتلك المعارضة له والمدافعة عن الدولة المدنية في تونس.

ويقول محمد المعمري، أستاذ الإعلام بمعهد الصحافة في تونس إن البلد "عانى كثيرا من الأخبار الخاطئة والمضللة"، وإن هذا الأمر كان جزءا من معارك القوى السياسية المتنافسة على الحكم في البلد. ويعتبر المعمري أن "تونس تعاني من الأخبار المزيفة التي قد تفقد الإعلام مصداقيته".

ويلفت الإعلامي التونسي صاحب كتاب "في كل بيت داعشي"، إلى أن المعركة ضد الإعلام المضلل هي معركة ثقافية وليست فقط مسألة تدابير وقوانين، ويذكّر في هذا الإطار بأن "تونس قامت بمبادرات لتربية الأطفال على مواجهة الأخبار الزائفة".

من جهته، يرى الدكتور موسى برهومة، أستاذ الإعلام بالجامعة الأميركية بدبي أنه "علينا إعادة النظر في الثقافة السائدة بالمجتمعات العربية". ويعتبر أن مسألة اختراق المجتمعات بالأخبار الزائفة تتعلق أيضا بمدى حصانة المجتمعات المستهدفة لإدراك الصالح من الطالح في هذه الأخبار.

ويعترف برهومة بأن "أغلب وسائل الإعلام تعتمد على التضليل والبروباغندا"، ويؤكد من جانبه بأن "الإعلام المسيّس كان له دور كبير في قضية خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي".

ويهتم برهومة، بصفته أستاذا للإعلام بقضية الحفاظ على حرفية مهنة الصحافة والإعلام وهو يراقب بقلق كيف أن "وسائل التواصل الاجتماعي قلبت وظيفة وهيكلية الإعلام من عمودي إلى أفقي"، وهو يروي كيف يصطدم طلاب الإعلام حين ينتقلون إلى العمل في المهنة بواقع آخر مختلف عن العلوم والمعايير والقواعد التي تلقوها في الجامعات.

ويعتبر برهومة، صاحب كتاب "مهنة المتاعب: مهارات في الكتابة الإعلامية"، أن آفة الإعلام الموجه ليست حكرا على العالم العربي، لكن "الإعلام الغربي قادر على صناعة الأخبار الموجهة بشكل احترافي". ويخلص إلى أنه "يجب تقديم الخبر بشكل احترافي للوصول إلى الناس وزيادة المصداقية لديهم".

ويعتبر خبراء الإعلام أن العالم استفاق من صدمة الإعلام الحديث وهو ذاهب نحو استيعاب الصدمة داخل منظومة تتحكم به. ويرى هؤلاء أن شركات الإنترنت العملاقة، مثل فيسبوك وإنستغرام وتويتر ويوتيوب، قد تأخرت في التنبه إلى المخاطر التي تشكلها منصات الإعلام الاجتماعي على السلم الدولي العام وعلى النظام السياسي الديمقراطي برمته، لكن مباشرتها في تفعيل ورشة عملاقة لـ"تطهير" تلك الشبكات من الشوائب تمثل بداية صعبة، وأن المعركة صعبة ومعقدة في التصدي للأخبار المضللة والأنباء المزيفة، خصوصا أن الأمر يتطلب مواجهة العشب السيء دون قتل الأشجار المثمرة، بكلمة أخرى العملية تتطلب الاهتداء إلى نقطة التوازن بين مبدأ المنع ومبدأ حرية القول والتعبير، وهي أسمى قيم المنظومة السياسية للعالم الغربي.

علي الصراف

لا أحد يستطيع محاصرة وسائل التواصل الاجتماعي، ندفع الآن ثمن احتكار الحقيقة سابقا

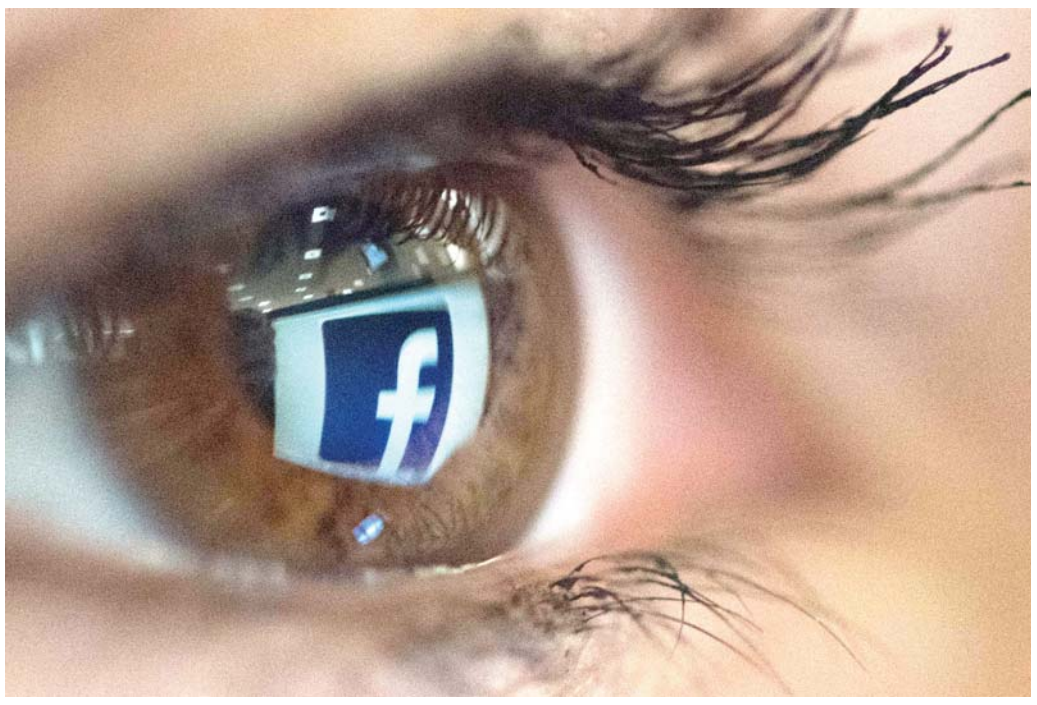

الشبكات تتعامل مع المتلقي من خلال غرائزه

سحابة قاتمة تلفّ رسوم الكاريكاتير الصحافية

باريس - لا يزال الكاريكاتير الصحافي نوعا فنيا مهددا حول العالم، بين المحاذير المتزايدة لدى الصحف والضغوط المتنامية عبر وسائل التواصل الاجتماعي، رغم موجة دعم حرية التعبير في العصر الرقمي.

وتقول مديرة التحرير في مجلة "كورييه إنترناسيونال" الفرنسية كلير كارار ورئيسة اتحاد "كارتونينغ فور بيس" في عدد مخصص للكاريكاتير في عام 2019، إن "سحابة قاتمة تلف عالم السخرية والرسوم الكاريكاتيرية الصحافية عموما في كل مكان، وقد كانت 2019 سنة سوداء في هذا المجال".

وقد أتت الضربة في 2019 من صحيفة "نيويورك تايمز" التي قررت في يونيو التوقف عن نشر أي رسوم كاريكاتيرية على صفحات نسختها الدولية بعد جدل بشأن رسم وصف بأنه معاد للسامية.

ورغم أنه ليس صاحب الرسم، بات الرسام السويسري باتريك شابات الذي وقّع لسنوات طويلة رسوم الكاريكاتير في الصحيفة، مقصيًا عن ممارسة وظيفته في "نيويورك تايمز".

وكتب شابات في مقال طويل "نعيش في عالم تتجمع فيه طغمة دعاة الفضيلة على وسائل التواصل وتنزل كالبرق على مكاتب التحرير الصحافي. هذا الأمر يرغم المحررين على اتخاذ تدابير مضادة فورية كما يعيق أي تفكير ويمنع أي نقاش".

وفي داخل أروقة "شارلي إيبدو" المجلة الفرنسية الساخرة التي دفعت ثمنا باهظا قبل خمس سنوات مع الهجوم الذي أوقع 12 قتيلا بينهم بعض من أشهر رسامين الكاريكاتير في المجلة مثل كابو أو فولينسكي، تُطرح أسئلة عما إذا كانت "الرسوم الساخرة باتت شكلا من أشكال حرية التعبير الآخذة في الزوال".

ويوضح مدير المجلة لوران سوريسو المعروف باسم ريس "ثمة انطباع لدينا بأن تقبّل الرسوم الكاريكاتيرية في تقهقر مستمر، وبأن هذا الشكل من التعبير بات مزعجا حتى داخل وسائل الإعلام بسبب غرابته وحريته الزائدة".

ويضيف "حتى في الصحف الكبرى، باتت الرسوم الكاريكاتيرية تتجنب بشدة الاستفزاز كما أن مكاتب التحرير لا تجازف كثيرا، وباتت هذه الرسوم تفقد نكهتها بعض الشيء".

ويؤكد ريس "في الوقت الحالي، مفهوم التجديف لم يعد يقتصر على رسوم كاريكاتورية بسيطة. لقد بات يُنظر إلى أمور كثيرة على أنها من باب التجديف أو الاعتداء".

وعلى غرار زملاء كثيرين له، يلقي ريس باللائمة على الدور التضخيمي الذي تؤديه وسائل التواصل الاجتماعي في هذا المجال.

ويقول باتريك شابات في "كورييه إنترناسيونال" إن "ضغط شبكات التواصل الاجتماعي يشكّل مصدر تهويل في حق وسائل الإعلام التقليدية (...) ثمة أمر ننساه هو أن مستخدمي تويتر ليسوا قراءنا. هذه الشبكة تؤجج الغضب وتنقل ظواهر كبرى خارجة عن السيطرة".

ويرى رسام الكاريكاتير بدرو مولينا المتحدر من نيكاراغوا والمقيم في المنفى أن "الصمود الاقتصادي لا يزال مشكلة، كما أن الجيوش الإلكترونية التي تلعب على وتر الصوابية السياسية لإعطاء الغلبة لعدم التسامح والانغلاق تشكل أيضا خطرا يتعين التصدي له".

الرسوم الكاريكاتيرية حتى في الصحف الكبرى، باتت تتجنب بشدة الاستفزاز ولا تجازف كثيرا، ما أفقد هذه الرسوم نكهتها

إلى ذلك، يواجه فن الكاريكاتير الذي كان رائجا بقوة في القرنين التاسع عشر والعشرين، مشكلة في صورته لدى الأجيال الطالعة التي ترى فيه نوعا فنيا باليا.

ويقول جوان، الرسام الشاب في "شارلي إيبدو"، "القول إن الرسم الكاريكاتيري نوع فني متهالك، أشبه باعتبار حرية التعبير نوعا متهالكا"، مذكرا بأن الكاريكاتير "لطالما واجه تهديدات" خصوصا بفعل الرقابة السياسية في القرن الماضي.

هذه الرقابة لا تزال قائمة حاليا في بلدان عدة يتعرض فيها الرسامون للتهديد والصرف والملاحقة القضائية وحتى السجن.

وتكافح "كارتونينغ فور بيس" بدعم من منظمات حقوقية مثل "مراسلون بلا حدود"، من أجل انتزاع اعتراف من اليونسكو بالرسم الكاريكاتوري الصحافي على أنه من الحقوق الإنسانية الأساسية.

إلّا أن ريس غير مقتنع بالمسار المعتمد لهذه الغاية، إذ يقول "أظن أن حرية التعبير حق أساسي كاف".

تقبل رسوم الكاريكاتير في تراجع مستمر

«تحرير الشام» الأكثر انتهاكا لحرية الصحافة في سوريا

إسطنبول - تصدرت "هيئة تحرير الشام" قائمة الجهات المسؤولة عن ارتكاب انتهاكات بحق الإعلاميين في سوريا في شهر ديسمبر من عام 2019، بحسب تقرير المركز السوري للحريات التابع لرابطة الصحافيين السوريين.

ووثق المركز الانتهاكات بحق الإعلاميين في شهر ديسمبر الماضي، حيث أكد أن الانتهاكات تراوحت بين الاحتجاز والضرب والمنع من التغطية الإعلامية.

ونقل المركز عن الإعلامي عارف وتد قوله "أثناء تواجدي وزملائي للتغطية الإعلامية لمظاهرة قرب معبر باب الهوى الحدودي، تعرض لنا عناصر من القوة الأمنية التابعة لهيئة تحرير الشام، بالمنع من التغطية واحتجاز المعدات الإعلامية لفترة قصيرة، وذلك أثناء تفريقهم للمظاهرة بالقرب من المعبر". مشيرا إلى أنه "تمت إعادة المعدات الإعلامية لاحقا".

وأضاف المركز في تقريره أن الإعلامية رزان رمضان بركل أصيبت بشظايا رصاص قوات الجيش التركي خلال عملها على تغطية احتجاجات أهالي مدينة عين العرب "كوباني" في ريف حلب الشمالي الشرقي، ضد الدوريات التي سيرتها القوات التركية والروسية في المدينة.

وتحدث التقرير عن تفاصيل إصابة الناشط الإعلامي دليار جزيري، بقصف لقوات المعارضة السورية خلال تغطيته للأحداث في ريف الحسكة، حيث يعمل جزيري مراسلا لقناة روناهي.

وورد في التقرير أن فاضل حماد مراسل القناة الفضائية السورية أصيب بجروح جراء قصف مدفعي خلال تواجده بريف الحسكة.

ودعا المركز إلى احترام حرية الصحافة وضمان سلامة العاملين في الحقل الإعلامي ومحاسبة المسؤولين عن الانتهاكات.